الحلقة (٢٣)

المسألتان اللتان استثنيتا من القاعدة العامة للضمير

القاعدة العامة للضمير هي: أن الأصل في المجيء بالضمير الاختصار، والضمير المتصل أكثر اختصارا من الضمير المنفصل، فكلما أمكننا المجيء بالضمير متصلا فإنه لا يعدل إلى انفصاله، يعني يؤتى به متصلا وجوبا، وقد استثنيَ من هذه القاعدة العامة مسألتان، نذكرهما.

المسألة الأولى: أن يكون عامل الضمير عاملا في ضميرين، أولهما أعرف، وليس مرفوعا، فحينئذ الضمير الثاني من هذين الضميرين يجوز لنا فيه أن نأتي به متصلا ويجوز أن نأتي به منفصلا على خلاف القاعدة العامة.

نأتي الآن إلى تفصيل الكلام في هذه القاعدة، فقولنا أن يكون العامل فما هو العامل؟

العامل في بعض الأحيان يكون فعلا غير ناسخ، وفي بعض الأحيان يكون فعلا ناسخا من ظن وأخواتها، أو مما ينصب مفعولين لكن هذين المفعولين ضميران، وأيضا قد يكون العامل اسما، لأن بعض الأسماء يعمل عمل الفعل، **ومن ذلك**: المصادر واسم الفاعل واسم المفعول والصفة المشبهة، ولها شروط في أبوابها، ستذكر تفصيلا إن شاء الله تعالى، يعنى أنها لا تعمل مطلقا، بل تعمل بشروط معينة.

فنقول:

١.) إن كان العامل فعلا غير ناسخ، وقد عمل في ضميرين، أول هذين الضميرين أعرف، وليس محل الأول الرفع، فإنه يجوز لنا في الضمير الثاني أن نأتي به متصلا أو منفصلا.

← **فما الأولى حينئذ** ؟ الأولى أن نأتي به متصلا، وكل ما ورد في القرآن الكريم من هذا القبيل جاء متصلا، أما مثاله: فكقولك (سلنيه) أو (سلنـي إياه) فـ (سل) بمعنى اطلب، أو اسأل، والنون للوقاية والياء هي ياء المتكلم وهي مفعول به أول في محل نصب، والهاء التي بعدها ضمير مرة جاءت متصلة ومرة جاءت منفصلة، وهذا الفعل (سل) ليس من الأفعال النواسخ، وإنما هو فعل أمر، ولذلك جاز في الضمير الثاني أن يكون متصلا أو منفصلا، والأولى أن يكون متصلا.

ننتقل بعد هذا إلى بيان الضميرين، الضميران هما (الياء) و (الهاء)، الياء هذه للمتكلم، والهاء للغائب، فأيهما أعرف؟ بلا شك أن ضمير المتكلم أعرف من ضمير الغائب، إذن هي هنا مشتملة على القاعدة كلها، فالفعل هنا عامل في ضميرين هما الياء والهاء، وأول هذين الضميرين أعرف لأنه ياء المتكلم، وثانيهما يجوز فيه الاتصال والانفصال، وهو أن نقول (سلنيه) أو (سلني إياه)، هذا المثال قد ورد له شواهد من القرآن الكريم وهو قوله تعالى:

{إِنْ يَسْأَلْكُمُوهَا } "يسأل" هذا فعل غير ناسخ، والكاف مفعول به أول وهو أول الضميرين، والهاء ضمير للغيبة وهو أقل تعريف من الكاف، إذن يجوز في هذا الضمير أن يأتي متصلا أو منفصلا، ورد في القرآن متصلا، وفي غير القرآن يجوز أن نقول (إن يسألكم إياها) فيأتي منفصلا ولا إشكال فيه، وليس خاص في الشعر فقط، بل في الشعر والنثر.

ومنه قول الله سبحانه وتعالى: {أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ}، فـ"نلزم "هنا فعل مضارع وليس فعلا ناسخا، والكاف هو المفعول به الأول وهو أول الضميرين وأعرف من الضمير الثاني، لأن الضمير الثاني للغيبة، والهاء الضمير الثاني يجوز فيه أن نأتي به متصلا كما في الآية أو أن نأتي به منفصلا في غير القرآن، فنقول (أنلزمكم إياها) فتأتي به منفصلا، فهذان الوجهان جائزان.

مما ورد فيه الضمير الثاني منفصلا قول الرسول صلى الله عليه وسلم (إن الله ملككم إياهم، ولو شاء لملكهم إياكم)، "ملككم إياهم" الكاف هو الضمير الأول، وإياهم هو الضمير الثاني، فـ"إياهم" جاء هنا منفصلا جوازا، ولو أتي به متصل لقال (إن الله ملككموهم) لكنه جاء منفصلا وهو جائز، والضمير الأول هنا أعرف والثاني ليس بأعرف لأنه للغائب، والأول فللمخاطب، أما الجزء الثاني من الحديث (ولو شاء لملكهم إياكم) فيجب في الضمير الثاني أن يكون منفصلا، لماذا ؟ لأنه نقص شرط من الشروط التي ذكرناها ذلك أن الضمير الأول ملكهم للغائب، وإياكم للمخاطب، فأيهما أعرف؟ طبعا الثاني أعرف، وما دام الثاني أعرف فإنه يجب أن يأتى بالضمير منفصلا قولا واحدا.

٢. **فإن كان العامل فيه اسما**، كأن يكون مصدرا (العامل في ضمرين) قال: فيجوز، الوجهان أيضا، ولكن الفصل أولى

واستشهد له المصنف بقول الشاعر:

لئن كان حبكِ لي كاذبا **** لقد كان حبيكِ حقا يقينا

الشاهد: أن حب، هنا، اسم وهو مصدر وقد عمل في ضمرين، هما، ياء المتكلم وكاف المخاطب، أما ياء المتكلم فهي أعرف بلا شك من كاف المخاطب، ولذلك جاء الضمير هنا متصلا، لا إشكال، لو جاء بمنفصل لقال: لقد كان حبي إياكِ، **والسؤال:** هل الوجهان جائزان؟ **والجواب:** نعم،

والسؤال الثاني: أيهما أفضل؟ **والجواب:** أن يأتي بالثاني منفصلا، لأن العامل هنا اسم، وليس فعلا، ولو كان فعلا غير ناسخ لكان، الاولى العكس، كما ورد ذلك في القرآن الكريم، والوجهان جائزان والفصل أولى.

٣. **إذا كان الفعل ناسخا، بأن كان من أخوات ظن،** مثلا وهي أفعال ناسخة تدخل على المبتدأ والخبر فتنصبهما مفعولين، فإن كان عمل هذا العامل في ضميرين، وأولهما أعرف من الآخر، لجاز في الضمير الثاني أن يؤتى به منفصلا أو متصلا، والأولى والأفضل كما يقول جمهور النحويين أن يؤتى بالضمير الثاني منفصلا.

ذلك كقول الشاعر:

أخي حسبتك إياه وقد ملئت أرجاء قلبك بالأضغان والإحن

فقوله : "حسبتك إياه"، هو موضع الشاهد، ومعنى البيت كنت أظنك أخا، ولكن تبين لي أن قلبك مليء بالأضغان والأحقاد، وكما قلنا الشاهد هو (حسبتك إياه)، فحسب فعل ناسخ لأنه من أخوات ظن، وقد عمل في ضميرين (الكاف) الضمير الأول و(إياه) الضمير الثاني، والضمير الثاني يجوز أن تأتي به متصلا فتقول (حسبتكه)، ويجوز كما جاء في هذا الشاهد (حسبتك إياه) أن تأتي به منفصلا، لكن المسألة في الترجيح أيهما أفضل؟

- **القول الأول:** يقول جمهور النحويين إن الأولى في الضمير الثاني أن يكون منفصلا.
- **القول الثاني:** ويرى الناظم وهو ابن مالك والرماني وهو نحوي أيضا وابن الطراوة، هؤلاء الثلاثة يرون عكس ما يراه الجمهور فيقولون إن الأولى أن يؤتى بالضمير متصلا.

◄ **فما تعليل كل من القولين ؟**

-الجمهور يقولون إن الأصل في الخبر أن لا يكون ضميرا متصلا، وأصل المفعول الثاني في باب ظن وأخواتها أصله خبر.

-أما ابن مالك والرماني وابن الطراوة عندهم توجيه آخر، يقولون ألم تقولوا إن الأصل في الضمير أن يكون متصلا، فكذلك هنا نفضل أن يكون الضمير متصلا، لأن هذا هو الأصل في الضمير.

وشاهدهم قول الشاعر:

بلّغت صنع امرئٍ بَرٍّ **إخالُكَه** إذ لم تزل لاكتساب الحمد مبتدرا

شرح البيت بلغني أن هناك من فعل خيرا وبراً، فظننت أنك هو، لأنك تبادر إلى عمل الخيرات.

الشاهد أين هو في قوله (إخالكه)، (الكاف) هو الضمير الأول، وهو للمخاطب، وهو أعرف من الضمير الثاني، (الهاء) هو الضمير الثاني، وليس أعرف لأنه للغائب والأول للمخاطب، ففي هذا الضمير الثاني يجوز (إخالكه) الهاء أن تأتي به متصلا ويجوز أن تأتي به منفصلا على التعليل المذكور سابقا، ولكن الأفضل عند الناظم وهو ابن مالك والرماني وابن الطراوة أن يؤتى به متصلا، كما في هذا البيت، ولكن لو جاء به منفصلا لجاز فنقول (إخالك إياه).

المسألة الثانية التي استثنيت من القاعدة العامة للضمير: أن يكون الضمير خبرا لكان أو إحدى أخواتها، فيجوز فيه الاتصال والانفصال، (كان أصبح أمسى ظل بات صار ليس مابرح مافتئ مادام مازالماانفك) ١٣ أداة.

فإذا وقع الضمير خبرا لكان أو إحدى أخواتها سواء أكان اسمها ضمير أم لم يكن، فإنه يجوز في هذا الضمير الاتصال أو الانفصال.

فما الأفضل في ذلك ؟

الجمهور يرون أن الفصل في الضمير أولى، وتعليلهم أن الأصل في الخبر أن يكون ضميرا منفصلا أو اسما ظاهرا، وأن لا يكون ضميرا متصلا.

أما ابن مالك وهو الناظم والرماني وابن الطراوة يرون أن الأفضل فيه أن يؤتى به متصلا، قالوا لأن الأصل في الضمير أن يكون متصلا، والمسألة في هذا سهلة، وما دام أن فيها خلاف فلك أن تختار ما تشاء، أو تعمل ما تشاء.

طيب ما شاهد الجمهور ؟ شاهدهم قول الشاعر:

لئن كان إياه لقد حال بعدنا عن العهد والإنسان قد يتغير

الشاعر يصور حال امرأة رأته، وقد تغير حاله من الهزال والضعف لفقد محبوبته، فتقول هذه المرأة لإن كان هو الذي أعهده سابقا، لإن كان إياه: لقد تغير عن ما عهدناه فيه، والإنسان قد يتغير: وهذا حال الإنسان.

موضع الشاهد: في قوله (لئن كان إياه) فـ (إياه) ضمير منفصل وقد وقع خبرا لكان، واسمها طبعا ضمير مستتر يعود على الشاعر الذي رأته المرأة. فـ (إياه) يجوز أن تأتي به منفصلا كما في البيت، ويجوز الإتيان به متصلا فتقول (لئن كانه) والوجهان جائزان.

ومما جاء متصلا كما يراه الناظم والرماني وابن الطراوة قول الرسول صلى الله عليه وسلم: (إن يكنه فلن تسلط عليه) هذا شخص يقال له ابن الصياد، يقال إنهم رأوه في المدينة على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، فظنوا أنه المسيح الدجال، لأنه كان فيه بعض صفات المسيح، فاتجهوا إلى الرسول صلى الله عليه وسلم فأخبروه، وكان عمر موجودا رضي الله عنه، فقال عمر: لأقومن فأقتله، فقال له الرسول صلى الله عليه وسلم، إن يكن هذا الرجل الذي رأوه هو المسيح فلن تستطيع قتله، لأن الله قد قدر له أن يفتن الناس وأن يبقى عمرا طويلا، وأن المسيح عيسى عليه السلام هو الذي سيقتله، وإن لم يكن هو فلا فائدة لك في قتله.

الشاهد عندنا في قوله (إن يكنه) فإن الضمير هنا جاء متصلا، وهو خبرا لكان، والتقدير (إن يكن إياه) وهذا أي المجيء به منفصلا هو الأفضل عند جمهور النحويين، أما المجيء به متصلا كما ورد في الحديث فهو الأولى عند الناظم ابن مالك والرماني وابن الطراوة.

القاعدة في الضمير : في المسألة الأولى أن يكون العامل عاملا في ضميرين، فلا يصلح أن يكون عاملا في اسم وفي ضمير بل لا بد أن يكون عاملا في ضميرين، هذا الشرط الأول، وأولهما أعرف من الثاني هذا الشرط الثاني، وأولهما ليس في محل

رفع وهذا الشرط الثالث.

نأتي الآن إلى نقض هذه الشروط : فلنفرض أن هذا العامل لم يعمل في ضميرين، بل عمل في اسم وضمير، فالضمير يجب أن يكون متصلا فتقول مثلا: (ضربك محمد)، فلا يجوز أن تقول (ضرب إياك محمد)، ولو كان الضمير في محل رفع لقلت (ضربت زيدا) فهو في كلا الحالتين يجب أن يكون متصلا.

كذلك لو فرضنا أن الضمير الأول جاء في محل رفع، فحينئذ يجب أن يأتي الضميرين متصلين كقولك (أكرمتك) فالضمير الأول (التاء) جاء في محل رفع لأنه فاعل، فالضمير الثاني (الكاف) يجب أن يأتي متصلا.

كذلك لو فرضنا أن الضميرين جاء الثاني منهما أعرف من الأول، فيجب في الضمير الثاني أن يكون منفصلا ومنه قول الرسول صلى الله عليه وسلم (ولو شاء لملكهم إياكم) فإن إياكم للمخاطب وهم للغائب والمخاطب أعرف من الغائب.

طيب لو فرضنا أن الضميرين تساويا في الرتبة، فحينئذ يجب في الضمير الثاني أن يكون منفصلا، ولا يجوز أن يأتي متصلا كقولك (أعطيتني إياي) أو (أعطيتك إياك) أو (أعطيته إياه) وقد أجازوا على قلة إذا اتفقا الضميران أي تساويا في الغيبة، واختلفا لفظيهما، وبعضهم يخص ذلك بالشعر أن تأتي بالضمير الثاني متصلا، ومنه قول الشاعر:

لوجهك في الإحسان بسط وبهجة أنالـهماهُ قفُو أكرم والد

الشاهد عندنا أن هما للغيبة والهاء للغيبة، وقد جاء بالضمير متصلا، والضميران متفقان في الغيبة، والضميران مختلفان في اللفظ، لأن الأول (هما) والثاني (هُ) فحينئذ جاز ولكنه في الشعر، فإذا اتفق الضميران فلا يجوز إلا في الغيبة.